

التتار من البداية إلى عين جالوت □ القصيرة □ راغب السرجاني

درس 41 □ نشأة دولة المماليك □ سلسلة التتار للشيخ راغب السرجاني

راغب السرجاني

من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شر انفسنا ومن سيئات اعمالنا. انه من يهده الله فلا لا مضل له ومن يضل فلا هادي له. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له. واشهد ان محمدا عبده ورسوله. اما بعد فاهلا ومرحبا بكم. في هذا اللقاء قائد طير مبارك واسأل الله عز وجل ان يجعل هذا اللقاء في ميزان حسناتنا اجمعين مع الحلقة الرابعة عشر من حلقات قصة التتار. في الحلقة السابقة وصلنا في اجتياح التتار للعالم الاسلامي الى غزة يعني معنى كده ان التتار في غضون سنتين بس اسقطه العراق بكاملها واسقطه عدد هائل من المدن في داخل تركيا واسقطوا سوريا بكاملها والاردن بكاملها وفلسطين بكاملها وصلوا لحد غزة غزة حوالي خمسة وثلاثين كيلو متر من سيناء. يعني خلاص الحدود المصرية اصبحت قريبة جدا

كان واضح جدا ان الخطوة اللي هتيجي مباشرة بعد اجتياح فلسطين هي اجتياح مصر وليه مصر اولاً لان التتار عندهم السياسة التوسعية واضحة. بيخلصوا بلد بيخشوا على اللي وراها. فاول بلد ملاصقة لفلسطين هي دولة مصر. الحاجة الثانية ان دولة مصر تعتبر القوة الوحيدة المتبقية في العالم الاسلامي. لو سقطت مصر خلاص ما عدش في اي امل في العالم الاسلامي كله في ذلك الوقت وقت الحاجة اللي بعد كده ان مصر بوابة افريقيا. يعني لو سقطت مصر انفتح الشمال الافريقي كله وقد يغوره الى اوساط افريقيا. وكل هذه الاماكن

كانت بعد سقوط دولة الموحيدين مفرقة مشتتة لا قوة لها بالمرّة. وطبعا الموقع الاستراتيجي لمصر كمكان متوسط في العالم في ذلك الوقت كان ليه اهمية كبرى عند التتار. فالناس كلها كانت عارفة ان العيون التتارية تتجه الى مصر. يا ترى ايه طبع في مصر قبل ما نخش على الوضع في مصر انا عايز اقف وقفه واقول ان اكيد كتير جدا جدا من المشاهدين اصيبوا باحباط كبير ويأس عند رؤية هذا الاجتياح التتري للعالم الاسلامي. وكانوا بيتمنوا انهم ما يسمعوش كل هذه التفاصيل. انا بقول التفاصيل دية كانت في غاية الاهمية. وفي تفاصيل

اكثر واكثر واكثر لو حبيتوا ترجعوا للكتب او للمصادر الموثقة التي تصف اجتياح التتار للعالم باسره ليس العالم الاسلامي فقط. ليه يا اخواني ويا لابد ان ندرس هذه الاجتياحات وهذه المآسي بهذه التفاصيل المفجعة. اولاً وده شيء مهم جدا حتى نستنبط تخرج العبرة والدروس لماذا سقط المسلمون هذا السقوط المروع؟ لابد ان هناك اسباب هذه الامة العظيمة امة الاسلام خير امة اخرجت للناس. كيف تهانت الى هذه الدرجة. هناك اسباب ذكرنا منها المعاصي والذنوب والابتعاد عن دين الله عز وجل والسقوط من عين الله عز وجل. هناك الفرقة

قائل رهيبه التي كانت تعاني منها الامة الاسلامية وهناك عدم الاعداد. وسنرى تحليلاً لكل ذلك باذن الله في اواخر هذه الحلقات. المهم ان في دروس وعبر لا حصر لها. لعل الحلقات السريعة لا تسمح لنا بالوقوف الكثير امام كل حدث. لكن انا متأكد ان المشاهد الكريم يستطيع

ان يربط بين هذه الاحداث القديمة وما يقع فيه المسلمون الان في زماننا المعاصر. يبقى ديت حاجة مهمة. الحاجة الثانية المهمة اوي اوي ان انا باذن الله سنرى بعد هذا الاجتياح التتري نهضة اسلامية حقيقية وانتصار ساحق على التتار كما يعلم الجميع بعد ذلك ففي عين جالوت. كيف انتصر المسلمون؟ وكيف خرجوا من كبوتهم؟ وكيف خرجوا من ازماتهم؟ هذا امر لابد ان يقف المسلمون امامه طويلاً طويلاً. مصر في ذلك الوقت يا اخواني ويا اخواتي كانت تحت حكم المماليك

وعشان نفهم قصة المماليك لابد نقف وقفة امام نشأة المماليك الحقيقية المماليك دولة من الدول العظيمة التي حكمت الامة الاسلامية فترة طويلة من الزمان. يعني قرابة تلت قرون متتالية. لكن للاسف الشديد عموم المسلمين عندهم جهل كبير جدا جدا بهذه الفترة. ومش هنفهم مقاومة المماليك للتتار الا عندما نفهم النشأة التي نشأت عليها دولة المماليك والحكام الذين تولوا الامر على الاقل في بادئ الامر وبداي نشأة هذه الدولة العظيمة. واحد اهم الاسباب لجهل المسلمين بدولة المماليك ان دولة المماليك من الدول التي قهرت قوتين عاتيتين من قوى الشر في العالم. هي هي الدولة التي قهرت التتار كما سيتبين لنا ان شاء الله في هذه الحلقات وهي الدولة التي قهرت بعد ذلك الصليبيين واخرجت الصليبيين من عموم البلاد الاسلامية. انتم عارفين ان

صلاح الدين الايوبي

الله من قبله نور الدين محمود وعماد الدين زنكي حاولوا محاولات كثيرة جدا اخراج الصليبيين من بلاد الشام ومن بلاد فلسطين وتركيا لكنهم لم يستطيعوا ان يحرروا الا طرفا قليلا من هذه البلاد. ولم ينجح احد في تحرير كل الشام من الصليبيين الا المماليك قصة المماليك قصة في غاية الاهمية لابد ان ندرسها بعناية وعلشان نفهمها لازم نرجع برضه ورا شوية لحد ما نشوف دولة الايوبيات هي ايه دولة الايوبيين التي سبقت المماليك؟ وكيف انتقل الحكم انتقالا طبيعيا من دولة الايوبيين الى دولة المماليك؟ دولة اسست على يد البطل العظيم الاسلامي المشهور صلاح الدين الايوبي رحمه الله. اسس هذه الدولة في سنة خمسمية تسعة وستين من الهجرة. يعني اكثر من مية سنة من الاحداس اللي احنا بنتكلم عليها دلوقتي. وقعد يحكم البلاد من سنة خمسمية تسعة وستين لسنة خمسمية تسعة وتمانين عندما توفي يعني حوالي عشرين سنة. في هذه العشرين سنة حقق انتصارات خالدة على الصليبيين اشهرها طبعا موقعة حطين وموقعة بيت المغرب وبعد ذلك وسع كثيرا في آ الامارة التي يحكمها حتى شملت في زمانه قبل ان يموت شملت مصر بكاملها وسوريا

بأكملها وشملت اجزاء كبيرة من فلسطين واجزاء من تركيا وشملت اجزاء من شمال العراق وشملت الحجاز بكامله وكذلك اليمن. يعني ان الدولة من الدول القوية جدا في المنطقة والتي كانت تحمل الراية العظمى والاساسية للمسلمين. هذا في وجود الخلافة العباسية خلافة ضعيفة. ولم يكن صلاح

احد من الايوبي رحمه الله على خلاف مع الخلافة العباسية بل كان يخطب للخليفة العباسي في داخل البلاد التي تحت سيطرة الايوبيين المهم ان بعد موت صلاح الدين الايوبي رحمه الله وبعد ان ترك هذه الدولة الواسعة مترامية الاطراف للاسف الشديد وقع او نادوا واحفاده في فتنة الدنيا وبدأوا يقسموا هذه المملكة الواسعة عليهم وبالتالي فتت الدولة الايوبية الى ممالك صغيرة. مصر اه مملكة الشام عدة ممالك. فلسطين عدة ممالك. تركيا مملكة منفصلة

عالي طبعا العراق مملكة منفصلة الحجاز مملكة منفصلة اليمن كذلك سبحان الله فرق الجمع تفريقا بشعا. وبالطبع تبع هذه الفرقة ضعف شديد في الدولة الايوبية. ولم نرى بعد وفاة صلاح الدين الايوبي رحمه الله على مدار ستين سنة متصلة من الملوك والامراء الايوبيين من يقارب صلاح الدين الايوبي في عظمته وفي ورعه وتقواه الا قليل القليل. لعل احد الامثلة العظيمة ما ذكرناه في السابقتين البلدة الصغيرة جدا في العالم الاسلامي وهي بلدة مية فرقين في شرق تركيا

وهيبة وكله تاريخ صراعات وفي كل الاسف الشديد. لا اصل الى احد اعظم امراء الدولة الايوبية مطلقا لعله اعظم الامراء بعد صلاح الدين الايوبي مباشرة وهو الملك الصالح نجم الدين ايوب. وهو الصورة مشرقة في

ظل ظلام كبير جدا عم هذه الدولة بعد وفاة الناصر صلاح الدين الايوبي رحمه الله. الملك الصالح نجم الدين ايوب من اعظم سلوك الدولة الايوبية ومن اعظم ملوك الاسلام كان يحكم مصر من سنة ستمية سبعة وثلاثين من الهجرة الى سنة ستمية ثمانية واربعين من الهجرة. يعني كان بيحكم مصر في الفترة التي سبقت التجهيز لاسقاط بغداد. كان بيحكم مصر في فترة الهدوء النسبي من واجتياح الشرق الاسلامي والوقوف على اسوار بغداد كما فسرنا في الحلقات السابقة. الملك الصالح نجم الدين ايوب كان يتصف بالورع

التقوى والعلم وتقريب العلماء ومحاولة يعني تجهيز الجيش المصري تجهيزا اه اه سليما وصحيحا وقويا وكان يقف احاء صد رئيسي امام الحملات الصليبية التي ما تركت مصر لحظة واحدة تهنا على حالها. وبالتالي لوجود

هذا التهديد المستمر من الصليبيين لم يستطع الملك الصالح نجم الدين ايوب رحمه الله ان ينقذ التتار الموجود ان ينقذ المسلمين القابعين الاحتلال التتري على مسافات هائلة شرق مصر هناك بعد آ العراق. طيب الملك الصالح نجم الدين ايوب رحمه الله

وكما ذكرنا كان يحكم مصر كان على خلاف شديد مع امراء الشام الايوبيين. وامراء الشام الايوبيين في ذلك الوقت لم يكونوا على شاكلته مطلقا بل كانوا من طلاب الدنيا ومن طلاب الحكم ومن طلاب السلطان وكانوا يتعاونون مع الصليبيين تعاوننا صريحا

الغريب جدا يا اخواني وبا اخواتي ان الذي كان يحكم سوريا في ذلك الوقت كان الملك الصالح اسماعيل. اللي هو اخو الملك الصالح نجم الدين ايوب اللاتنين لقبهم الملك الصالح. واحد اسماعيل في قمة الخيانة وواحد نجم الدين الايوبي ايوب رحمه الله في قمة

العدل والورع

والصلاح. وكان لابد لمثل هذين الشخصيتين المختلفتين ان يتنافرا وان يتصارا الملك الصالح اسماعيل عرض على الصليبيين ان يتعاونوا معه. سبحان الله! لحرب اخيه في مصر. والملك الصالح اسماعيل له تاريخ

اسود كبير عندما اهدى بيت المقدس للصليبيين في سنة ستمية ستة وعشرين من الهجرة بعد ان كان قد حرره الجد الاعظم صلاح الدين الايوبي رحمه الله اهداه هكذا للصليبيين في مقابل المساعدة لغزو مصر

المهم ان الملك الصالح اسماعيل كان رجلا يعني آ عاتيا ظالما آ جمع الجيوش وحاول ان يغزو مصر لحرب اخيه ويضم مصر الى ملكه الى سوريا. الملك الصالح قاومه وانتصر عليه في موقعة العباسية. والعباسية هذه منطقة في

في شرق الزقازيق الان احد آ المدن المصرية المشهورة وانتصر انتصار آ كبير الملك الصالح ايوب على الجيوش الشامية وتكرر الامر

بعد ذلك في سنة ستمية واحد واربعين من الهجرة

سنة ستمية واحد واربعين من الهجرة جمع الملك الصالح اسماعيل عدة جيوش وبدأ يغزو آ مصر وقابله الملك الصالح نجم الدين ايوب في غزة. هذه الجيوش الكثيفة لم تكن من الشاميين فقط ولكن كانت من الشاميين المسلمين وكانت من الصليبيين ايضا الملك الصالح نجم الدين الايوبي كان الجيش بتاعه وان كان معدا اعدادا قويا الا انه لم يكن على العدد الذي يناسب هذه الاعداد الهائلة من المسلمين من الشاميين ومن الصليبيين فماذا يفعل؟ الجيش بتاعه قليل وهي قابل قوات كبيرة وفي خارج بلاده في غزة ماذا يفعل؟ اضطر الملك الصالح

نجم الدين ايوب ان يؤجر مقاتلين. يعني الجنود المرتزقة. فيجب منين مقاتلين يقاتلون معه؟ اتى بالجنود كوارزمية لو تفتكروا بقى قصة الخوارزمية من اول الحلقات لما قلنا ان محمد ابن خواريزم شاة اللي هو كان زعيم المملكة الخوارزمية هرب وراح بحر قزوين ومات

في جزيرة في وسط محرق قزوين ومن بعده جلال الدين ابن خوارزم هرب مرة في الهند سم قتل في شمال العراق وغيث الدين المخواريز كل هذه الجيوش كانت جيوش مصالح وجيوش دنيا وليست لها اي نوع من القضايا. كل هذه الجيوش فرت وهربت في البلاد. واصبح الرجل منهم يؤجر نفسه بالثمن

هم طبعاً مسلمين لكن ليست لهم اي نوع من القضايا. زي ما بنشوف جيوش كثيرة اسلامية للاسف الشديد في زمان الان ليست لها قضية تببع نفسها هل هذا وذاك بالدرهم والدينار؟ المهم ان اشترى الملك الصالح نجم الدين ايوب عددا من هؤلاء طبعاً اشتراهم مش معنى ان اشتراهم يعني

اشترى بالمال يعني اجرهم لموقعة او اثنين او ثلاثة طول ما هو بيدفع لهم هم بيقاتلوا معه وفي صفه. وقاتل بهم الصليبيين في موقعة غزة وانتصر انتصارا مهيبا على الجيوش الصليبية المتعاونة مع الجيوش الشامية. لدرجة ان في موقعة غزة

هذه سنة ستمية واحد واربعين من الهجرة قتل من الصليبيين. تخيل قد ايه؟ ثلاثين الف مقاتل صليبي. يعني موقعها فعلاً هائلة. انتصار بل بعد ذلك اكمل الطريق بعد ان فتحت امامه الابواب ودخل الى بيت المقدس وحرره سنة ستمية ثلاثة واربعين من الهجرة الجيش المصري الذي كان بامرة الملك الصالح نجم الدين ايوب ومعه الخوارزمية. قدروا يحرقوا بيت المقدس ستمية ثلاثة واربعين بعين من الهجرة وظل بيت المقدس محررا مدة سبع قرون متتالية. تخيل! سبعميت سنة بعد

التحرير ما دخله جنود صليبيون ولا يهود حتى دخله الجيش الانجليزي وآ احتل فلسطين في سنة الف تسعمية وسبععناشر ميلادية وهي الى الان كما تعلمون محتلة. ونسأل الله عز وجل ان يحررها كاملاً. المهم ان الملك الصالح بعد ان يعني

حرر بيت المقدس اخذته الحمية وانتقل بعد ذلك الى دمشق وبالفعل ضم دمشق واجزاء كبيرة من سوريا الى مصر واعلن وحيد مصر والشام في دولة واحدة. لكن للاسف الشديد بعض الامراء الايوبيين في الشام اشتروا الجنود الخوارزمية بتمن اعلى. ودولت مرتزقة ما لهمش اي قضية. فبمجرد ان اشتروهم بتمن اعلى راحوا معهم وانقلبوا على الملك الصالح نجم الدين ايوب. ودارت بينهم عدة معارك ولم يثبت مع الملك الصالح نجم الدين ايوب الا الجيش الذي اتى به من مصر والذين كانوا في جلهم من المماليك. وكان على رأس هذا الجيش

ركن الدين بيبرس القائد الاسلامي المعروف. استطاع نجم الدين ايوب ان يتغلب على الخوارزمية الذين انقلبوا عليه وعلى امراء

الشام وضم الشام بقوة الى مصر ووحد الدولتين لكن خرج بدرس مهم جدا جدا من هذه الانقلابات انه لا يستطيع ابدأ ان

اعتمد على الذين يشترون بالمال ولكن لابد ان يعتمد على الذين ينتمون اليه شخصيا والذين يدينون بدين الاسلام عن قناعة وعن رضا ويطلبون الجهاد في سبيل الله في سبيل الله حقيقة وليس ادعاء كما يفعل الكثيرون

فرجع الملك الصالح هاشم الدين ايوب وبدأ يخطط تخطيط جديد لتقوية الجيش المصري على اساس الاعتماد على المماليك مين هما

المماليك؟ المماليك هي اه في اللغة يعني العبيد. لكن المماليك خدت اصطلاح معين خاص بحقبة معينة من الزمان

اللي احنا بنتكلم عليها دلوقتي وقبلها بشوية وبعدها طبعاً بشوية زي ما هنشوف. المماليك كانوا عبارة عن العبيد الذين يشترون بالمال من اقرب قاسي بلاد المسلمين. يعني ايه؟ يعني من اطراف الدولة الاسلامية

في اه التصاق الدولة الاسلامية بالدول التي حول الدولة الاسلامية من الدول المشتركة الوثنية. فكان المسلمين القواد يذهبون الى هذه

الاماكن يشتروا من هناك المماليك ويجندوهم في جيوشهم ليثبتوا اقدامهم في بلادهم. اشتهر ذلك في ايام المأمون الخليفة العباسي المشهور وايام المعتصمين

العباسي كذلك وايام الطولونيين اللي بيحكموا مصر وايام الاخشيديين والفاطميين ثم الايوبيين بعد ذلك. يبقى المماليك كانت جزء

رئيسي من جيوش الاسلامية في خلال متين تلتميت او ربعميت سنة سابقة للدولة الايوبية. لكن الملك الصالح عمل حاجة جديدة. اولاً استكثر جدا

من المماليك يعني كانت الجيوش المماليك بيأتوا كنسبة في داخل الجيش الاسلامي. الان بدأ يعتمد اعتماد شبه رئيسي على المماليك.

لكن حتى الا يأتيه مملوك يبيع نفسه اليه لغرض من اغراض الدنيا ثم بعد ذلك ينقلب عليه في ظرف من الظروف. استحدث الملك

الصالح استقدام

اطفال فبدأ يستقدم الاطفال المماليك ولا يستقدم كبار المماليك. يستقدم هؤلاء الاطفال وطبعا دولت في معظمهم من الوثنيين ولا يتكلمون اصلا اللغة العربية من اطراف بعيدة جدا كان معظمهم من اعراق تركية او ارمنية او احيانا اوروبية كان يأتي بهم الى داخل مصر ويبدأ في تربيتهم على الطريقة التي يريد. فاتي باعداد كبيرة جدا وبدأ يعلمهم سنة سنة عشان يعتمد عليهم بعد ذلك. خل بالك الملك الصالح نجم الدين ايوب كان عنده بعد اسلامي واضح جدا. ومن ثم انعكس كل ذلك على تربية المماليك ما المماليك كما ذكرنا وان كانت تعني العبيد الا ان معاملة المماليك في مصر وبخاصة من نجم الدين ايوب رحمه الله لم تكن ابدا ابدا معاملة العبيد بل كانت معاملة الاستاذ للتلميذ بل الاب الابن كان يجلس معهم ويأكل معهم ويتبسط اليهم ويشاركهم في كل مشاكلهم ليستطيعوا بعد ذلك

كان ينتموا اليه انتماء مباشرا ويحل معه مشاكل مصر بل ومشاكل العالم كما سنرى. ترى كيف كانت تربية المماليك على يد الملك الصالح نجم الدين ايوب رحمه الله ومن هم ابرز المماليك؟ وما هي المماليك البحرية المشهورة جدا في التاريخ والمماليك المعزية؟ هذا ما سنعرفه باذن الله وغيره

في الحلقة القادمة اسأل الله عز وجل ان يفقهنا في سننه وان يعلمنا ما ينفعنا وان ينفعنا بما علمنا انه ولي ذلك والقادر عليه فستذكرن انما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته